مقامات الهمذاني
"دراسة سوسيولوجية"

الباحث الرئيسي: د.مراد رفيق البياري
الباحث المشارك:د.مي محسن الحلفي
قسم اللغة العربية–كلية الآداب
جامعة الملك فيصل الأحساء – السعودية

المقدمة: الأدب والمجتمع:

عُني الباحثون بالربط بين الأدب والمجتمع، إذ يرى النقاد الاجتماعيون أنّ الأدب ظاهرة اجتماعية لا يمكن فهمها بعيداً عن الحقبة التاريخية التي ظهرت فيها، ولا يمكن عزلها عن الطابع السياسي، والاقتصادي، الاجتماعي السائد خلال تلك المدة، وإنّ فهمنا للظاهرة الأدبية يستدعي منا ردّها إلى التغيرات الاجتماعية، والثقافية، والثقافية، والسياسية التي طرأت على المجتمع في مدة تاريخية معينة، فالأدب من خلق المجتمع وهو مُنْطَلِق منه، يجب أن يوظف في خدمته، وهو أياً كان نوعه وأياً كان زمنه ومهما حاول أن يكون تعبيراً خالصاً عن تجربة الأديب فإنه يعكس حياة الإنسان وعصره، وهو بصورة أو بأخرى صادر عن مجتمعه يعبر عن فكر الأديب وتجاربه بثقافة عصره، فالأديب مهما حاول الانفصال عن واقعه وقيم عصره لا بد وأن يظهر في نتاجه الأدبي ملمح عن بيئته لأنّه لا يستطيع الانسلاخ التام عن معطيات مجتمعه وعصره حتى وإن أراد أن يكون متمرداً على واقعه فإنَّه سيعكس من تمرده هذا تعارضا مع المجتمع وبالتالي فهو يقدم شيئاً عن واقع مجتمعه من خلال هذا التعارض. ومن هنا فإنَّ

" قضية العلاقة بين الأدب والمجتمع ليست قضية مُعَاصَرَة ولكنها "علاقة تَشَكُل "،فالأدب ليس ظاهرة فردية تتصل بالكاتب أو المبدع فحسب من داخله، ولكنه ظاهرة يتصل معها إلى جانب ذلك عدد من العوامل الخارجية"[1] ، ولهذا فالنتاج الأدبي يجب أن يفسر تفسيراً قائماً على التفاعل بين الأدب والمجتمع، "وأن لا ينظر إليه على أنَّه مجرد انعكاس للظواهر الاجتماعية بل على أنَّه مؤسسة اجتماعية فعلاً، لها أبعادها الخاصة بها شأنها في ذلك شأن المؤسسات الاجتماعية الأخرى مثل القانون، والدين والنظم السياسية، وغيرها"[2] فهو جزء من واقع الحياة وجد منذ استطاعت المجتمعات أن تعبر عن نفسها بشكل فني شعراً، أو نثراً، أو غناءً، أو رقصاً، أو رسماً، أو موسيقياً فهو الواقع الفعلي لسلوك الأفراد والمجتمعات، والمؤشر المعرفي، والثقافي لها ، لهذا جَعلت الدراسة السوسيولوجية للأدب استخلاص أفكار المؤلفين والأدباء المتصلة بالمجتمع ، وربط الأدب ببناء المجتمع عن طريق علم اجتماع المعرفة هدفاً تحذو إليه"[3]. فالأدب يمكننا من تعلم واكتساب بعض المعارف في المجتمع للإفادة منها في تحليل الخطاب الأدبي، فضلاً على أنَّه يساعدنا كثيراً في دراسة المجتمعات التي يصعب دراستها بطريقة شاملة،إمّا لعدم وجود وثائق تاريخية خاصة بها، أو لأسباب سياسية، فيكون الأدب المؤشر على طبيعة المجتمع، ولعلّ اختلاف طبيعة الأدب من عصر إلى آخر تعرضها طبيعة المجتمع الثقافية، والسياسية، والاجتماعية.

ولتأكيد علاقة الأدب بالمجتمع جاءت هذه الدراسة السوسيولوجية لبيان طبيعة المجتمع في القرن الرابع الهجري من خلال مقامات الهمذاني التي يمكن أن نعدها وثيقة اجتماعية لها قيمتها الفنية في أدبنا القديم " فهي قصص

اجتماعية"[٤] تناول فيها الكاتب طبيعة الحياة في عهده فنقدها في سخرية الأديب الثائر، والكاتب الصريح حتى أضحت لوحة أدبية خالدة، استطاع الهمذاني من خلالها أن يصور الحالة الاجتماعية بواسطة الوصف الدقيق الذي يقدم فيه صورة واضحة لما كان عليه المجتمع آنذاك، موضحاً بوصفه الدقيق نقداً لاذعاً للواقع الذي يعيشه، ولبعض عادات مجتمعه بأسلوب بليغ مليء بالصنعة اللفظية على لسان بطله أبي الفتح الأسكندري الذي تلون بألوان عصره لينقل لنا صورة حية وحقيقية عن تلك الحقبة الزمنية.

وقد تَشَكَّلت دراستنا هذه في محورين رئيسين، وخاتمة:

في المحور الأول تناولنا:

-المقامة مفهوماً،وقيمة، ورائداً.

-الحالة السياسية، والاجتماعية، والثقافية في القرن الرابع الهجري والأسباب التي دعت إلى ظهور هذا الفن.

أمّا المحور الثاني فقد تركز على دراسة الظواهر السوسيولوجية التي عكستها مقامات الهمذاني،موضحاً أساليب الكاتب في نقل هذه الظواهر.وكانت الظواهر التي عُنيت بها الدراسة هي:

- ظاهرة الكدية.
- ظاهرة الوعظ والإرشاد.
- ظاهرة فساد القضاء.
- ظاهرة السباب.
- ظاهرة المجون.
- ظاهرة اللصوص.

- ظاهرة المجتمع الساذج.
- ظاهرة طلب العلم والمناظرات.
- الطعام والشراب وأساليب طهيه وتقديمه.

ثم جاءت الخاتمة التي أودعنا فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وما توفيقنا إلا بالله

المحور الأول:

-المقامة مفهومها، وغرضها، وقيمتها الفنية:

المقامة لغة تعني المجلس والجماعة من الناس، وفي الشعر الجاهلي استعملت بمعنيين فتارة بمعنى مجلس القبيلة، أو ناديها على نحو ما نرى عند زهير في قوله:

وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجوهُها وأنديةٌ ينتابها القولُ والفعلُ

وتارة بمعنى الجماعة التي يضمها المجلس أو النادي على نحو ما نرى عند لبيد في قوله:

ومقامةٍ غُلب الرقاب كأنَّهم جِنٌ لدى بابِ الحصير قيام

وقد تستعمل المقامة كي تصور موقفا من المواقف،وهو موقف التهاجي ،أو المخاصمة، أو المنافرة، يقول سويد بن أبي كاهل الشكري:

وعدو جاهل ناضلتَهُ في تراضي الدهرِ عَنْكم والجمع

فَتَساقَينَا بِمرٍ نَــاقــع في "مَقــامٍ" ليسَ يُثنيه الــوَرَع

ومع تطور المفردة أصبحت تدل على مواقف الزهاد بين أيدي الخلفاء لوعظهم وإرشادهم فيما عرف بمقامات الزهاد والوعاظ *،وقد تجيء بمعنى المحاضرة وبهذا المعنى الأخير تخرج من غرض القيام، فهي حديث يؤديه شخص ما، ولا ضير في كونه جالساً أم قائماً.

أما على صعيد المعنى الاصطلاحي فيعد بديع الزمان الهمذاني أول من أعطى للمقامة صبغتها الفنية فمقاماته بمجملها قصص تلقى في جماعات وهي قصص مفعمة بالحركة والفعل الدراميين، تجيء مزوقة مزخرفة تغلب عليها أساليب البديع وتزخر بها. وتتخذ قصصه جميعاً بطلاً واحداً هو أبو الفتح الأسكندري الذي يظهر في شكل أديب شحاذ لا يزال يروع الناس بمواقفه وما يجري على

لسانه من فصاحة أثناء مخاطبتهم، ويقدم ويمهد له راوٍ هو عيسى ابن هشام[٥] وهذه القصص تقوم على حدث طريف مغزاه مفارقة أدبية، أو مغامرة مضحكة تحمل في داخلها لوناً من ألوان النقد والثورة والسخرية وُضعت في إطار من الصنعة اللفظية والبلاغية البديعة [٦] ذات الأصل العربي، رائدها وصاحبها الهمذاني، فكان أن عدّ النقاد قصصه البداية لفن المقامات في الأدب العربي.

وفيما يخص القيمة الفنية لهذه المقامات فقد اختلفت آراء الباحثين حولها فمنهم من يرى أنَّها تحتوي على بذور درامية وأنّها بشيء من التحوير تغدو مسرحية قصيرة [٧]، ومنهم من يرى أنّها أقرب إلى الفن القصصي [٨]، أو أنّها قصة قصيرة [٩]، في حين يذهب محمد رشدي حسن[١٠] إلى أنّ مقامات الهمذاني تحتوي على بذور القصة الحديثة وقد عدَّ مجموعة من المقامات يستشهد بها لرأيه وهي : الأسدية، والأصفهانية، والبغدادية، والموصلية، والمضرية، والحلوانية، والأرمنية، والعسيرية، والخمرية، والمطلبية، والبشرية، ومنهم من عدّها جنساً أدبياً قائماً بذاته [١١].

أمّا على صعيد الريادة لهذا الفن فقد تناول الباحثون هذه الإشكالية بشيء من التفصيل فمنهم من يرد المقامات "لابن دريد"، ومنهم من يجعل الهمذاني رائد المقامة الأول ن ونكتفي هنا أن نشير إشارة سريعة للحصري في كتابه زهر الآداب وثمر اللباب [١٢] في حديثه عن المقامة حيث يجعل الريادة لابن دريد، في حين يجعلها الحريري في مقاماته [١٣]، والقلقشندي في صبح الأعشى للهمذاني[١٤].

ومهما يكن من قول في ريادة المقامات فإنّه حَري بنا أن نفرِّق بين الريادة الزمنية لهذا الفن والريادة الفنية، فالناظر إلى ابن دريد في أحاديثه يجد أنّه لغويّ

إخباريّ يعتمد على سلسلة الإسناد التقليدية في رواية الخبر، بيد أنّ مقامات الهمذاني وقف على مناقلتها راوٍ وبطل، ولا تتضمن أحاديث ابن دريد شيئاً من ذلك، وهنا يظهر لنا التمييز بين ريادتين إبداعية وزمنية، فبينما يميل ابن دريد إلى محاولات تندرج في سياق التاريخ يتجه الهمذاني إلى الموهبة الخلّاقة التي تخترع نمطاً جديداً للتعبير يكتسب تميّزه وديمومته من قدرته على تأسيس قواعد محددة البناء، وفيما ترتبط الريادة الزمنية بالمحاولات غير المتميزة فنياً لنمط من أنماط القول، تقترن الريادة الإبداعية بالمثال الذي اكتسب قوته الفنية ليكون نسيجاً يُحتذى وموجهاً أساسياً للجهود اللاحقة [١٥]، ولعلّ هذه القوة والتمييز يعودان بالدرجة الأولى لبنية المقامة الهمذانية القائمة على راوٍ ينهض بمهمة إخبارية محددة،وثانيهما بطل له مهمة واضحة، ومن خلال تفاعل الراوي والبطل يتكون البناء الحكائي، وبهذا تكون المقامة أوضح الأنواع الأدبية وأكثرها تميّزاً بين الأنواع النثرية في الأدب القديم" [١٦].

-الحالة السياسية والاجتماعية في عصر الهمذاني:

لقد كان للتفكك السياسي الذي أصاب الدولة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أثره الكبير على الحياة السياسية والاجتماعية آنذاك، فقد قامت الإمارات والدويلات التي تدين بالولاء الاسمي أو الصوري لسلطان الخليفة في بغداد، فقد قامت الدولة الزيارية في إقليم طبرستان الواقع جنوبي بحر قزوين (٣١٦هـ - ٤٤٧هـ) وقامت دولة بني بويه التي بسطت سلطانها على الأقاليم الغربية من إيران اتجاه العراق (٣٢١هـ-٤٤٧هـ)[١٧]، إضافة إلى تداول الحكم في تلك المدة الزمنية أربعة من الخلفاء هم المستكفي (٣٣٤هـ)،والمطيع (٣٣٤هـ-٣٦٣هـ)،والطائع (٣٦٣هـ ٣٨١هـ)،

والقادر(٣٨١-٤٢٢هـ).وكان الفرس هم الحكام الفعليون، أمّا الخليفة فله من الحكم الاسم فقط، وغرقت البلاد في تلك المدة في حالة من الفساد والفوضى[١٨]. فالمجتمع الإسلامي كان مزيجاً من الأجناس والفئات المختلفة في أصولها، ومذاهبها، ونظرتها، للحياة مما انعكس أثره على الحياة الاجتماعية في خلق مجتمع مليء بالمتناقضات.

ولا شك أنّ هذا المجتمع الذي امتلأ بالمتناقضات وتفاوتت فيه الثورات واختلفت فيه القيم سيؤثر في اتجاهات أبنائه، فعلى صعيد المستوى الأدبي نجد المجتمع ينقسم إلى طائفتين : طائفة أُتيح لها أن تتصل بالأمراء وتخالط الوزراء تحيا في عز قصورها كارهة ما يكره الوزراء والأمراء تنعم بلذات الحياة، وطائفة لم يتح لها النجاح في تحقيق الصلات مع طبقة الحكام،هذه الطبقة قاست صعوبة العيش وضنك الحياة فعانت لذع الحرمان ومرارته،وكتب التاريخ مليئة بأسماء هؤلاء الأدباء الذين عانوا ما عانوه، وعلى صعيد آخر نجد التكالب على الثروات والشهوات وجمع المال بشتى الوسائل، فظهرت طبقة "المكدين" التي كانت إفرازاً طبيعياً لهذه الأوضاع وهذا التراجع في المجتمع.

لأجل هذا كله لم يكن غريباً والحال كذلك أن ينتزع الهمذاني صورة بطله من هذا الواقع البائس العجيب، غير أنّه لم يُرد لبطله أن يموت بالفقر بل أراده صاحب حيلة، يتحلى بظروف العصر وحيله، لا يلتزم بمذهب واحد، وجعله متناقضاً متلوناً حاله حال عصره المليء بالمتناقضات [١٩].

فالهمذاني في مقاماته أراد تصوير المأساة التي تمثلها في أبي الفتح الأسكندري، عاكساً من خلالها صورة الأديب، أو العالم في مجتمع ذلك الزمان ولعلّه قصد توجيه الإدانة لمجتمع سمته انقلاب الموازين داعياً إلى ثورة عليه من

خلال إبداعه، فقد آثر الهمذاني الثورة مُطلِقاً الصرخة الصامتة باعتماده أسلوب المقامات للتعبير عن ذلك كله.

وهذا ما يفسر اختياره بطلاً رمزياً خيالياً وليس حقيقياً فلعلّه أراد أن يدل من طرف خفي على أنّه نموذج لا غير، أي أنّه اختار بطلاً يمثل فئته الواعية الراجحة عقلاً، الواسعة ثقافة، المهضومة حقاً، الرافضة المتمردة مما خلق مفارقة كبرى، فلقد قست عليهم الحياة حتى كأنهم لا يجدون رزقاً إلا من خلال الكدية. ومن هنا يمكن القول :إنّ المقامات الهمذانية تعدُّ إدانة غير مباشرة للعصر، ونقداً له مما أكسبها وظيفة سوسيولوجية، ومهمة تربوية أخلاقية.

ومما يجب التنويه إليه أنّ المقامات لم تكن وقفاً على "الكدية" والظواهر السلبية مع غلبتها وشيوعها فيها، فلقد تجاذبت شتى الموضوعات والفنون والمعارف والعلوم، فكانت مادة طيبة لمبدعها ففيها النحو، والفقه، والطب، والمناظرات، والسياسة، والوعظ، والأدب، والأدب، والنقد، والألغاز، والقضاء، والحياة اليومية لذلك المجتمع، فلقد جمعت هذه المقامات النقيضين : الظواهر الاجتماعية السلبية والظواهر الايجابية وهذا ما ستحاول صفحات الدراسة اللاحقة تناوله.

الظواهر السوسيولوجية في مقامات الهمذاني:

١- ظاهرة الكدية:

تعدُّ ظاهرة الكدية في مجتمع القرن الرابع الهجري نتاجاً واضحاً لعصر مليء بالتناقضات والأهواء فقد عُدَّ هذا القرن عصر الفتن فلم تخل سَنة من مناوشات ومنازعات، أضف إلى ذلك الترف والنعيم في بلاط الخلفاء والأمراء، أمّا الشعب فأكثره بائس فقير مما أدى إلى ظهور ازدواجية واضحة في هذا المجتمع،

فلا غرابة والحال هذه أن تنشأ جماعة وسيلتها في كسب العيش التسول والنصب والاحتيال حين يرون هذا الحرج، وهذه الشدة التي تشمل حياة الناس حين ترهقهم الضرائب ومصادرة الأموال، وحين لا يجد الأدباء والعلماء ما يأكلون إلا إذا اتصلوا بأمير أو وزير ؛ لذلك تعدُّ ظاهرة "الكدية" من الظواهر التي أولاها الهمذاني اهتماماً واسعاً مُقدماً لها حيلاً مختلفة مستخدماً أساليب عدة فمرة يلجأ إلى براعته الأسلوبية، ومرة يطرق الأبواب ليلاً، وأخرى باستخدام الألغاز، ومرة بالتعامي، وقد يجمع بين هذا كله ليصل إلى مراده، مما يدل على اتساع هذه الظاهرة في مجتمعه، فهو وإن حاول الهروب منها يجدها أمامه أينما تنقل " فَبَيْنا أنَّا على باب داري إذ طلع عليَّ من بني ساسان كتيبة قد لفُوا رؤوسهم" (٢٠) فهم مفروضون عليه بل إنَّ هذه الجماعة لها زعيم يوجهها ويقودها وتردد ما يقول بنغم مخصوص مستخدمين الأسلوب الشعري للكدية على نحو يستعطف الآخرين "وفيهم زعيم يقول وهم يراسلونه، ويدعو ويجاوبونه، فلما رآني قال:

أريـــدُ مِنـــكَ رَغـــيفاً يعـــلو خـــُواناً نظيفـــاً
أريـــدُ مِلـــحاً جريشـــاً أريـــد بَقـــلاً قطيفـــاً
أريـــدُ لحمـــاً عريضـــاً أريـــدُ خـــلاً ثَقيفـــاً(٢١)

لِيَجنون بعد هذا الاستعطاف الدراهم والدعوات إلى الطعام " قال عيسى بن هشام : فنلته درهماً وقلت له : قد آذنت بالدعوة وسنعد وتستعد"(٢٢).

وفي مشهد آخر من استخدام البراعة الأسلوبية نجده يتحدث عن رجل قد لفَّ رأسه ببرقع ونصب جسده واحتضن عياله وأنشأ يقول:

ويلي على كَفـــيَّن من سَوِيـــق أو شَحمـــةٍ تُضْرَبُ بالدّقيـــقِ

أو قَصعةٍ تُمـــلأُ من خِرْديـــق يَفـــثأ عنّا سَطَوات الرِّيـــقِ[٢٣]

فعيسى ابن هشام ليس له بد إلا أن يعطيه مما معه "فأخذت من الكيس أخذةً نلته إياها" [٢٤] والهمذاني واعٍ لمعطيات عصره يعلم أنَّ الشعر والبلاغة بضاعة رائجة في الاستعطاف، لذلك نجده يوظفها ويجعلها سلاح المتسول البليغ المؤثر فيمن حوله، يقول على لسان أحد المتسولين :" اللهم يا مبدىء الأشياء ومعيدها، ومحي العظام ومبيدها، وخالق المصباح ومديره وفالق الإصباح ومنيره،وموصل الآلاء سابغة إلينا، وممسك السماء أن تقع علينا..."[٢٥]، فأي بلاغة تفوق هذه البلاغة وأي سامع لا يَرِقُ قلبه لهذا المتسول ولهذه الصور الرائعة، والمعاني العظيمة، فهو المتسول الذي تبدل حاله وهو المسافر الذي قطعت به الطريق " أسألك الصلاة على سيد المرسلين محمد وآله الطاهرين، أن تعينني على الغربة أثني حَبْلَهَا، وعلى العَسرة أعدو ظِلَّها"[٢٦].

وقد يلجأ الهمذاني إلى أسلوب أكثر شفقة واستعطاف، أسلوب يجمع فيه براعته الأسلوبية مع التعامي " فما زلت بالنظارة أزحم هذا وأدفع ذاك حتى وصلت إلى الرجل وسرّحت الطرف منه إلى حُزُقَّةٍ كالقَرَنْبَي أعمى مكفوف في شملة صوف"[٢٧] هذا المكفوف يجمع الناس حوله يشكو لهم حاله وفقره في إيقاع شعري غَنِج هَزِج وصوت شَج من صدر حَرِج وهو يقول:

يا قـــومُ قد أثقـــلَ دَيْنـــي ظَهْـــرِي وطالَبَتْـــني طَلّـــتِي بالمهـــــــرِ

أصـــبحتُ مـــن بعد غنىً وَوَفـــر ساكـــنَ قَـــفر وحليـــفَ فقـــرِ[٢٨]

مشهد يقدمه الهمذاني لرجل مكفوف جار عليه الزمان وتبدلت حاله وأصبح صاحباً للفقر بعد غناه، يجعل السامع يَرِقُ قلبه ويتأثر بحاله أشد التأثير،

قال عيسى ابن هشام " فَرَقَ له والله قلبي و أغرورقت له عيني فنلته ديناراً كان معي"[٢٩] فلو كان معه أكثر من دينار لأعطاه.

والموقف نفسه نجده عند ذلك الذي قَدِمَ من الإسكندرية يشكو للناس تَبدل أحواله وانعدام حاله من بعد الغنى والجاه، ليجعل مَن حوله يغدقون عليه النقود "فرقت والله له القلوب،و أغرورقت لِلُطف كلامه العيون، ونلناه ما تاح في ذلك الوقت"[٣٠].

ولئن الهمذاني يعلم أنَّ إكرام الضيف من أهم واجبات هذا العربي، خاصة للمسافر ليلاً الذي تقطعت به السبل، نجده يلجأ إلى حيلة الطارق ليلاً أسلوباً آخر للكدية، لأنَّه يدرك أنَّ مثل هذا لا يمكن رده يقول : "قُرِعَ علينا الباب فقلنا من القارع المُنتاب ؟ فقال وَفْدُ الليل وبريدُه وفَلُّ الجوع،وطريدُه وغريبٌ أُوقدت النارُ على سفره ونَبح العوّاء على أثره "[٣١].فما كان من صاحب البيت إلا إكرامه وإعطاءه حاجته " فقبضت من كيسي قبضة الليث وبعثتها إليه"[٣٢].

فأساليب الهمذاني المُتبعة للكدية كثيرة فمنهم من يتجول في الأسواق، ومنهم من يدَّعي الأمراض والعاهات، و آخر يكتب حاجته على أوراق يوزعها، ومنهم من يقف على أبواب

المساجد أو يكتب الألغاز و الأحراز والسحر. وقد يلجا المكدي إلى رواية القصص وأحياناً إلى الحركات البهلوانية باستخدام الحيوانات كما في المقامة "القردية".

كل هذه الأساليب والحيل مؤشر واضح على طبيعة العصر الذي عاشه الهمذاني، وعلى تناقضات مجتمعه وتغيّر حاله، وكأنَّ الهمذاني يؤمن بأنَّ ثبات

الحال جحود وضرب من التخلف، ويؤمن أنّ التلون والتبدل والكذب أساليب لجمع الدراهم والعيش الرغيد يقول على لسان بطله :

أنــا أبــو قَــلَــمــُونٍ في كُــلِّ لَــونٍ أكُــونُ
اخــترْ مِــنَ الكَــسبِ دونَا فــــــإنَّ دَهْــرَكَ دُونُ
لا تكــذبــنّ بعَــقْــلٍ مَــا العــقــلُ إلا الجُــنونُ[٣٣]

فهو لا يتخذ شكلاً واحداً ووجهاً واحداً بل يتقلب حسب ما تقتضيه المصلحة الذاتية، فالكذب ملحُ حديثِه لا بد من اللجوء إليه كلما دعت الحاجة، وكأنّي به يقول : ظروفُ الزمانِ وتقلباتُه هي التي دعته إلى هذا التلون، لذلك نجد بطله يلوم الدهر في اغلب مقاماته "وكأنَّ المقامات تفنيد للمظاهر الدنيوية "[٣٤] فثمة إصرار في مقامات الهمذاني على أهمية الكدية والتبدل واللجوء إلى الحيل، ومصدر ذلك تقلبات الدهر وغياب التكافل بين الناس في عصره.

٢- ظاهرة الوعظ والنصح :

ليس غريباً والحال هذه أن يجتمع الخير بجانب الشر، وأن يظهر الحق بجانب الباطل، فلقد أشرنا إلى أنَّ عصر الهمذاني مليء بالمتناقضات،والهمذاني مصدر رائع لهذا الواقع، لأنَّه ابن هذه البيئة المثقف، يرى في مجتمعه كلَّ هذه المتناقضات ويصورها بإسلوبه البليغ،

أدى به أن يقدم شيئاً من هذا الوعظ في مقاماته وربما ذلك مرده أمران : الأول : أنَّ الوعظ والنصح من معاني المقامة كما في مقامات الزهاد كمقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي، والأمر الآخر أنَّ الهمذاني ناقل صادق لصورة مجتمعه بكل ما فيه من خير وشر.فكان لا بد أن ينقل هذا الجانب بأسلوب يعكس مدى ثقافة الخطيب أو الواعظ.

جاء في مقامته الوعظية " أيها الناس إنَّكم لم تُترَكوا سدى، إنَّ مع اليوم غداً، وإنَّكم واردو هوةً فأعدوا لها ما استطعتم من قوة... وإنَّكم لم تخلفوا عبثاً فحذار حر النار... يا قوم الحذر الحذر والبدار البدار من الدنيا ومكايدها " [٣٥]

وهذا الشخص الواعظ عنده غير محدد الهوية فقد يكون أحد الرجال من القوم،أو ماراً في طريق لكنه مهما يكن " فهو بارع في الوعظ، بليغ فيه، يتخير الأسلوب المؤثر، لذا يصل وعظه إلى القلوب ونستطيع التمثيل بوعظه، والاستشهاد به في مواقف وعظية كثيرة، إذ يصلح لذلك روعته وتنوع أساليبه بين الشعر والنثر حتى بلغ فيهما الغاية"[٣٦] يقول في مقامته الأهوازية : " ولّما أجمعنا على المسير استقبلنا رجل في طِمْرَيْن في يمناه عكازة، وعلى كتفه جنازة. فتطيرنا لما رأينا الجنازة واعترضنا عنها صفحاً... فصاح صيحة كادت لها الأرض تنفطر والنجوم تنكدر وقال : لَتَرُثَّها صُفراً ولَتَرْكَبُنَّها كرهاً وقسراً، أما والله لَتُحمَلُنّ على هذه العيدان إلى تلكم الديدان " [٣٧]

ولا بد من الإشارة هنا إلى جانب مهم جداً هو أنَّ هذا الوعظ والنصح لم يكن لغرض الوعظ في ذاته إلا في مواطن قلية كما مثلنا سابقاً، فقد كشف لنا الهمذاني عن غايات أخرى للوعظ كالوعظ من أجل الحصول على المال * فنجده في المقامة القزوينية يلجأ إلى ذلك بأبيات شعرية فيها من الروعة ما يجعل السامع يلبي النداء ويقدم له ما يطلب " فإذا هو يقول على إيقاع الطبول :

يا قــومُ إنّــي رَجُــلٌ تائِــب مِــنْ بَــلَدِ الكُــفرِ وأمْرِي عَجــيب
فَظَــلْتُ أخْــفِي الدِّيــنَ في أسْرَتِي وأعــبُدُ اللهَ بِــقَلــبٍ مُــنيــب
أســجدُ لّــلات حــذرَ الــعِــدى ولا أرى الــكعبةَ خــوفَ الرقيب"[٣٨]

فقد جمع بعد هذه الأبيات ما يريد " ثم أخذ ما أخذ ".

والأمر يبدو أكثر وضوحاً لهذا الغرض في مقامته المطلبية، إذ يروي لنا قصة الرجل الواعظ الذي لم يجد سبيلاً لتحصيل معاشه إلا سبيل الوعظ الذي جعله مطية لتحقيق مآربه،

" هل ترون المال إلا عند النجلاء، دون الكرماء، والجُهال دون العلماء، وإياكم والانخداع فليس الفخر إلا في إحدى الجهتين ولا التقدم إلا بإحدى القسمين إمّا نسب شريف أو علم منيف"[٣٩] فالواعظ هنا يعرف كلَّ شيء فهو يعلم ما لا يعلمه الآخرون يقول " والله لولا صيانة النفس والعرض، لكنت أغنى أهل الأرض، لأنني أعرف مطلبين : أحدهما بأرض طرطوس فيه مائة ألف مثقال، وأمّا الآخر فهو ما بين سورى والجامعين فيه ما يعلم أهل الثقلين من كنوز الأكاسرة "[٤٠] ليتقدم عليه الناس بعد هذه الخطبة يسألونه عن طريقة وصولهم إلى هذين المكانين ليحصد منهم ما يريد " وقال من قدم شيئاً وجده ومن عرف ما ينال هان عليه بذل المال"[٤١].

وقد يصل غرض الوعظ إلى أدنى من ذلك بكثير فهو الوعظ الذي يخفي وراءه الضلال والفسوق فالإمام الذي يحرض الناس على هؤلاء الذين دخلوا المسجد وهم سكارى مرتكبو الكبائر ليجتمع عليهم المصلون لضربهم " إنّي لأجد منذ اليوم ريحَ أم الكبائر من بعض القوم... وأشار إلينا فتألبت الجماعة علينا، حتى مزقت الأردية ودَمِيت الأقفية" [٤٢] هو نفسه فاسق شارب للخمر محب للنساء، فالفتِيةُ الذين ضُربوا في المسجد يلجأون بعد ذلك إلى حانة ليجالسوا فتاة فيسألونها عن حالها وعن أكثر زوارها فتجيب :"إنَّ لي شيخاً ظريفَ الطبع، وظريف المجون"[٤٣] تقصد أبا الفتح الاسكندري الشيخ الذي حرض الناس عليهم في المسجد لفسقهم، وهذه ازدواجية واضحة أراد الهمذاني

الإشارة إليها في مقاماته. فهو يصور مجتمعه بكل دقائقه وتفاصيله ويعري لنا هذه الفئة من الوعاظ الذين يتخذون من الوعظ وسيلة لخداع الناس ليبين لنا أنَّ دائرة الوعظ الحقيقي في عصره ضيقة، وما عدا ذلك يكون لأغراض تستر خلف كلام الوعاظ المزخرف.

٣- ظاهرة فساد القضاء:

جانب آخر ينقله لنا الهمذاني في مقاماته " يعرّي فيه القضاة ورجال الدين الذين يستغلون عملهم لتحقيق مآربهم ولجني المال، جاء في المقامة النيسابورية في وصف قاضٍ " هذا سُوس لا يقع إلا في صفوف الأيتام، وجَرَادٌ لا يسقط إلا على الزّرع الحرام... وذئب لا يفترس عباد الله إلا بين الركوع والسجود ومحارب لا ينهب مال الله إلا بين العهود والشهود. وقد لبس دَنِيّتَه، وخلع دِينَيته وسوّى طَيْلسانه، وحرّف يده ولسانه... وبَيَّض لحيته "[٤٤] فهو لص لا يراعي حرمة ولا ذمة، ولكنه يختلف عن المحتالين، لأنَّه لا ينهب إلا بين العود والشهود، وحينما يذكر الهمذاني هنا أنَّ المال مال الله يريد أن يشير إلى وجهة نظر القاضي الذي يطبق شريعة الله في نظرهم، فما الذي يمنعه أن يسرق، إنَّه يسرق من مال الله وحده، وليس لأصحاب المال شيء منه.

فالهمذاني في هذا الجانب يبين لنا مدى انقلاب قيم العصر من خلال المفارقات فالقاضي لا يرجع الأموال لأصحابها بل ينهبها، وهو سارق يرتكب سرقته بالعود والشهود بدلاً من الخفاء والعتمة، فلا عهود تثبت عقود القوم ومواثيقهم، ولا شهود تدلي بالشهادة فكل شيء في يد القاضي يتصرف به كما يشاء، وبالتالي يصبح كلُّ شيء مزوراً لمنفعة القاضي الشخصية،وطموحه الفردي الذي لا يراعي الحق والعدل الذي عُين لإقامتهما.

٤- ظاهرة السباب:

كثرت ظاهرة السباب على لسان المخانيث في القرن الرابع الهجري، والمخانيث : طبقة اجتماعية ظهرت في القرن الرابع الهجري يصورة واضحة، يمتلكون قدرة فائقة على الفصاحة لا سيما في السباب وهتك الأعراض، وهؤلاء نتاج للتردي وللأوضاع البائسة التي نالت من الدولة العباسية، فلقد جمع الهمذاني على لسان هذه الطبقة مجموعة كبيرة من الشتائم التي وجهت فيما بينهم مقابل دينار يأخذه من يكون شتمه أبلغ وأشد. جاء في المقامة الدينارية * " حتى قلت : ليشتم كلٌّ منكما صاحبه فمن غلب سلب، ومن عزَّ بزَّ فقال الاسكندري : يا برد العجوز، يا كربة تموز.. يا وطء الكابوس، يا تخمة الرؤوس..يا سنة الطاعون.. يا شجاء المخمور.. يا كتاب التعازي.. يا قلح الأسنان، يا وسخ الآذان "[٤٥] وربما تُعد هذه الطبقة أكثر شهرة عند بني ساسان الذين أخذ عنهم الهمذاني وأفاد منهم في أساليب حيلهم و شحاذتهم، وها هو في هذه المقامة يكشف لنا عن نمط آخر في حياتهم فالسباب من أجل المال موهبة عندهم فالكل يحاول الإبداع والابتكار والسباب بأسلوب بليغ حتى يحصل على قدر من المال، مما جعل عيسى بن هشام لا يدري أيهما أقوى وأبلغ في السباب ليتركهما يتخاصمان على الدينار " فوالله ما علمت أي الرجلين أوثر وما منهما إلا بديع الكلام، عجيب المقام، ألد الخصام، فتركتهما، والدينار مشاع بينهما وانصرفت وما أدري ما صنع الدهر بهما."[٤٦]

والشتم عند الهمذاني ليس حكراً على هذه الطبقة فقد يرد على لسان العامة.جاء في المقامة الأرمنية : فقال قبحك الله أنت حَجَّام قال : نعم، فعمد

لأعراضه يَسُبُّها "[٤٧] وكأنَّه يشير إلى كثرة السباب حتى عند العامة، وهذا مؤشر واضح على تردي هذا العصر الذي يعيشه صاحب المقامات.

٥- ظاهرة المجون :

استطاع الهمذاني أن يصور الحياة العابثة الماجنة ليس على طريقة التاريخ بالإشارة والتلميح وإنّما بالتفصيل والتصريح فنراه يسحبنا إلى مجالس القوم وحاناتهم ويرفع لنا الستار عن اجتماعهم على الخمرة والوتر، ولا يكفي بذكر الخمرة بل يصف الحانة ومستخديمها، ويعرج على صاحبتها ذات الشكل والوشاح المنحل، فعرَّفنا خمرها ولونها وعرَّفنا مؤنس الندمان ومطربهم " ولما مستنا حالنا تلك دعتنا دواعي الشطارة، إلى حان الخمارة والليل أخضر الديباج مغتلم الأمواج... وجعلنا الدينار إماما، والاستهتار لزاما فدفعنا إلى ذات شكل ودل، ووشاح منحل، وإذا قَتَلَتْ ألحاظُها، أحييَتْ ألفاظُها... وسألناها عن خمرة فقالت :

خَـمْرٌ كَـرِيـقي في الـعُذُوبَـةِ واللَـذَاذَةِ وَالخَـلاوَةِ "[٤٨]

ولا شك أنَّ في ذلك تصويراً لحياة المجون واللهو التي جاءت منسجمة مع مجتمع القرن الرابع الهجري.

٦- ظاهرة كثرة اللصوص:

عدَّ الهمذاني ظاهرة اللصوص في عصره ظاهرة واسعة وذلك لكثرة ما ذكر من أصناف اللصوص، فالواقع الاجتماعي أبرز عدداً كبيراً من اللصوص تختلف أساليبهم في السرقة، فمنهم من تكون سرقته بالتطفيف في المكيال والانتقاص منه " من يعمل بالطف "[٤٩] ومنهم من يقف في صف المصليين حتى إذا اشتغلوا بركوع أو سجود سرق ما أمكن من ثياب أو نحوها " من يحتال بالصف"[٥٠] ،

ومنهم من يدخلون على شكل جماعة إلى بيت ليسرقوا فإن وجدوا من يمنانعهم كرب البيت أو حارسه بدر أحدهم إلى خنقه وضَرَبَ الآخرون دفوفهم فارتفعت أصوات الطبول ولم يسمع صيحة المخنوق وعمي الخبر على سائر الناس إذ لا يتوجه الذهن إلى أنَّ بيتاً فيه دفوف وطبول يكون فيه سارقون وسلبة " ومن يخنق بالدف"(٥١)

ومن السارقين من يلجأ إلى طرائق أدهى من ذلك كأن يضع لصاحب المال طعاماً مخلوطاً بمادة منومة فإذا تناول صاحب المال منه أخذه شبه نوم فينال السارق من ماله ما أراد،وهؤلاء من عبَّر عنهم الهمذاني بقوله "من نوَّم بالبنج"(٥٢)،وقد يصل الأمر عند بعضهم أن يتقلدوا آلة تحملها الشرطة تسمى "الطبرزين" الذين أسماهم "أصحاب الطبرزين"(٥٣) كأنَّه شرطي ثم يدخل البيت الذي يريد السرقة منه بحيلة يقدمها، ومنهم من يحمل معه عدداً من المفاتيح لفتح الأقفال " أصحاب المفاتيح"(٥٤) وممن يعدون نادرة غريبة هؤلاء الذين أسماهم " من لج القوم وقال ليس ذا نوم"(٥٥) ومعناه: أن يأتي السارق مع أصحابه إلى نائم فيلغطون حتى يوقظوه بما يقولون إنَّه نائم أو ليس بنائم وهم يوهمونه أنَّهم يريدون دفن شيء، ويخافون إطلاعه عليه، فيتناوم كيداً لهم ويشتد الخلاف بينهم في نومه ويقظته، فيمتحنون حاله، فيأخذون في سرقة ثيابه وما معه وهو يتناوم ولا يدفعهم، فإذا انتهى عملهم وذهبوا قام ليأخذ الدفين فيجده خزفاً أو لا يجد شيئاً وإنَّما كانوا يحفرون لخدعته وهو يظن أنَّه كان يكيد لهم.

فالهمذاني في طرحه هذا يكشف لنا عن أساليب عديدة للسرقة تدل على واقع غريب مضطرب فالقارئ لهذه المقامة يجد أنَّ الهمذاني حشد أكثر من سبعين طريقة للسرقة، مبيناً من خلالها أساليب اللصوص في زمن كان فيه اللصوص نتاج عصر مليء بالمتاعب والخلافات والتراعات، فهو خبير ومكتشف

لأحوال الناس في جميع همومها، فما كان منه إلا أن صوّر هذه الظاهرة بأسلوب رائع يدل على خبرة ودراية في وصف الأشياء، حتى إنَّ القارئ يشعر نفسه عند قراءة هذه المقامة –المقامة الرصافية– بالتحديد أمام فيلم أبطاله كلهم لصوص متقنون لأدوارهم.

٧- ظاهرة المجتمع الساذج:

يقدم لنا الهمذاني في مقاماته صورة أخرى من المجتمع وهي التصديق لكل ما يسمعون في حالات الضيق فهم يؤمنون بالحرز المصنوع من الديباج أنَّه منج من الغرق، وربما في ذلك كشف عن عقلية العامة. فهؤلاء الذين ركبوا البحر وأمطرتهم السماء بمطر شديد وريح تدفع الأمواج، شعروا أنَّهم ميتون لا محالة وأنَّ البحر مُغرِقهم، إلا شخص مطمئن البال لا يبكي كمن معه " فينا رجل لا يخضل جفنه ولا تبتل عينه رخي الصدرِ منشرحُه، نشيط القلب فرحُه "[٥٦] فهذا الرجل يستغل ضعف القوم وجهلهم وحاجاتهم إلى النجاة،فيقدم لهم حرزاً مَن يأخذه ينجو من الغرق ويشترط عليهم أن يأخذ من كل واحد منهم ديناراً قبل النجاة، وديناراً إذا سلم "لن أفعل ذلك حتى يعطيني كل واحد منكم ديناراً الآن ويعدني ديناراً إذا سلم "[٥٧]

ليجد كل من على ظهر السفينة يوافقه مطلبه، وهذا كشف واضح عن عقلية هذه العامة التي تؤمن بالخرافات والأساطير. فالهمذاني بحق بارع في الوصف النفسي وليس أدل من هذا التصوير ما نجده في مقاماته خاصة المقامة الحرزية التي نجح فيها نجاحاً واضحاً في وصف الحالة النفسية لهؤلاء الذين ركبوا السفينة وهاجمهم الموت.

٨- ظاهرة طلب العلم والمناظرات :

برزت في مقامات الهمذاني الصورة المشرقة من المجتمع التي تمثلت في طلب العلم والمناظرات المذهبية والأدبية، ومنها" المقامة القريضية " التي عرض فيها

الهمذاني آراءه في امرئ القيس، والنابغة، وزهير، وطرفة، وجرير، والفرزدق، والقدماء، والمحدثين، بل نجده في جانب آخر يخص الجاحظ بمقامة ينال فيها منه، وفي مقامة أخرى نجده يفخر بنظمه الشعر "حدثنا عيسى بن هشام قال : كنت ببلاد الشام وانضم إليَّ رفقة، فاجتمعنا ذات يوم في حلقة فجعلنا نذكر الشعر فنورد أبيات معانيه ونتحاجى بمعاميه... وكرَّ مُبَاحثاً فقال : عرِّفوني أي بيت شطره يَرْفَع وشَطْره يدفع، وأيّ بيت يصْفع، وأيّ بيت نصفه يغضب ونصفه يلعب، وأيّ بيت كله أجرب، وأيّ بيت عروضه يحارب وضربه يقارب."[٥٨].

وفي مقامته العلمية نجده يحدد خصائص العلم وطريقة الوصول إليه " فإذا أنا برجل يقول لآخر بم أدركت العلم وهو يجيبه قال : طلبته فوجدته بعيد المرام، ولا يصطاد بالسهام ولا يرى في المنام ولا يورث عن الأعمام"[٥٩]. وقد يتعدى الأمر بالهمذاني إلى أبعد من ذلك ليذكر لنا المناظرات الفكرية والمذهبية فنجده في المقامة المارستانية يرد على المعتزلة ويُسَفهُ آراءهم على لسان مجنون في المارستان " تقولون خالق الظلم ظالم أفلا تقولون خالق الهلك هالك، أتعلمون يقيناً أنَّكم أخبث من إبليس ديناً... وتقولون خُيِّرَ فاختار... وإذا سمعتم زُوِيت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها جحدتم...وإن قيل عذاب القبر تطيرتم"[٦٠]

فكأن الهمذاني بهذه المقامات يدلل على أنَّ العلم والفكر والشعر مطالب مشرقة تؤكد ما كان يتمتع به بعض العامة من ثقافة وأدب حتى عقدت المجالس الأدبية بينهم، وأقيمت المناظرات الفكرية، وهذا لا يتناقض مع ما ذكرناه سابقاً عن عقلية العامة الساذجة، وإنَّما هذه الصورة الأخرى للمجتمع وإذا شئنا فلنقل الصورة المشرقة، فقد انتشرت في عصر الهمذاني المناظرات وكتب التاريخ تحدثنا عن هذا وربما هذه المقامات كافية لتشير على ما نقول به في مقامنا هذا.

٩- وصف الطعام والشراب وأساليب طهيه وتقديمه :

كشفت لنا المقامة المضرية عن أنماط الحياة اليومية على المستوى المادي، كطبيعة الملبس ونوعية المسكن وأنماط المأكل وأساليب تقديم الطعام والضيافة، فذكر الراوي لنا التاجر الذي يصف تأنق زوجته في طبخها " يا مولاي لو رأيتها والخرقة في وسطها وهي تدور في الدور ومن التنور إلى القدور، ومن القدور إلى التنور تنفث بفيها النار وتدق بيديها الأبزار،ولو رأيت الدخان وقد غبر الوجه الجميل "(٦١) .

وإن كانت المقامة المضيرية يذكر فيها حالة الزوجة وهي تعد الطعام فإنَّ المقامة المجاعية تصف لنا الطعام أمام شخص بلغ من الجوع مبلغاً " فما تقولُ في رغيف، على خوان نظيف، وبقل قطيف، إلى خل ثقيف... وشواء صَفيف إلى ملح خفيف يقدمه إليك الآن من لا يمطلك الوعد..فإن لم ترد هذا ولا ذاك فما قولك في لحم طري، وسمك نهري، وباذنجان قُطرُبَّلي وتفاح جني " (٦٢). فقد وصف لهذا الفقير الجائع ثلاثة أنواع من الطعام يختار منها واحداً، فيختار الفقير الثلاثة ليكشف لنا بعدها زيف هذا الواصف فهو لا يمتلك شيئاً من الطعام ،وإنَّما وصفه وبالغ في وصفه تشويقاً للجائع وإثارة للجوع في جوفه. ومن جانب آخر نراه يستغل جهل السواديّ بأنواع الطعام فيبدأ بوصفه ليشجعه على زيارة المطعم، ومن ثم ينال منه ما ينال، ويفر بعدها هارباً تاركاً هذا السوادي يعد النقود ليدفع لصاحب المطعم ثمن الأكل الذي دُعِيَ إليه. يقول الهمذاني على لسان بطله مخاطباً السوادي : " هلم إلى البيت نصب غداء أو إلى السوق نشترِ شواء، والسوق أقرب وطعامه أطيب، فاستفزته حمة القَرَم، وعاطفة اللقم... ثم اتينا شواء يتقاطر شواؤه عرقاً وتتسايل جُوذاباتُه مرقاً فقلت: افرز لأبي زيد من هذا الشواء، ثم زن له من تلك الحلواء، واختر له من تلك الأطباق، وانضد عليها أوراق الرقاق ورش عليه من ماء السماق... زن

لأبي زيد من اللوزينج...وليكن ليليَ العمرِ، يوميَ النشرِ، رقيقَ القشرِ... "[٦٣] صورة رائعة يقدمها الهمذاني عن أنواع الطعام في المدينة حتى يجعل السوادي الذي ليس له دراية بهذه الأنواع يدفع ثمن ما أكله ضيفاً وهو يبكي بسبب الحيلة التي أوقعه فيها بطل هذه المقامة " فجعل السوادي يبكي ويحل عقده بأسنانه ويقول كم قلت لذاك القُرَيد أنا أبو عبيد وهو يقول أنت أبو زيد "[٦٤]. فالهمذاني عند وصفه للمطاعم وأنواع المأكولات كأنَّه يضعنا أمام الحدث فنسمع ونرى، وربما يُفَصِّل القول في أنواع الأطعمة على لسان زعيم المكدين بقصيدة يذكر فيها كثيراً من الأطعمة والمشروبات فقد ورد هذا في قوله :

" أريــدُ مِــنكَ رَغِــيفَــاً يــعلُــو خــوانــاً نَظِــيفَــاً
أريــدُ مِــلحَاً جَــرِيشَــاً أريــدُ بَقْــلاً قَــــــطِيفَــاً
أريــدُ لَــحمَاً عَــرِيــضَاً أريــدُ خَــــــلاً ثَــقِيــفَاً
أريــدُ جــدِيَــاً رَضِــيعَــاً أريــدُ سَــخــلاً خَــروفَــاً
أريــدُ مَــاءً بِــــــثَلــج يــغشى إنــاء نــَظِــيفَــاً"[٦٥]

بل إنَّ الهمذاني يلجأ أحياناً إلى تفصيل طعام الأغنياء وما عندهم من لذيذ المأكل والمشرب وطعام الفقراء المكون من الخبز اليابس واللبن ورديء التمر " فعمد الإسكندري إلى رجل فاستماحه كف ملح وقال للخباز أعرني رأس التنور فإنّي مقرور... وسِرْنَا حتى أتينا قرية استطعمنا أهلها فبادر من بين الجماعة فتى إلى مترله فجاءنا بصفحةٍ قد سد اللبن أنفاسها "[٦٦].

مما سبق نجد الهمذاني قد أحسن وصف الأطعمة في مجتمعه وهو بذلك ينقل لنا طبيعة المأكل والمشرب ومسميات الأطعمة من ناحية، ومن ناحية أخرى طبيعة هذا المجتمع كل حسب طعامه وشرابه.

الخاتمة:

بعد هذه الدراسة لطبيعة المجتمع في مقامات الهمذاني خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج:

١- جاءت موضوعات الهمذاني انعكاساً لواقع اجتماعي وسياسي واقتصادي قد عمَّ بلاده وتغلل حتى استحق النقد والإصلاح مثل الكدية، والفساد، والسرقة، والمجون، والوعظ الزائف وغيرها من الظواهر.

٢- احتلت ظاهرة الكدية والتسول جانباً كبيراً من مقاماته فقد قدم لها الهمذاني بصورها وحيلها المختلفة لينقل واقعاً حقيقياً في مجتمعه.

٣- لم يجعل الهمذاني كل مقاماته لنقل الواقع البائس، بل خصص جزءاً منها لنقل الواقع والظواهر المشرقة في مجتمعه، كما في مقاماته الوعظية، والأهوازية، والشعرية والعلمية، والمارستانية التي قدم فيها شيئاً عن الحياة الفكرية والعلمية والمناظرات الأدبية، إضافة إلى جانب الوعظ الصادق في مجتمعه.

٤- امتاز الهمذاني في نقده بأسلوب مر لاذع، فقد صب كل ثقافته اللغوية في مقاماته، ليقدم لنا هذه اللوحات اللغوية عن واقع يراه بائساً بقالب فني متميز وصور بلاغية رائعة، وكأنَّ القارئ لمقاماته يعاصر الحدث ويعيشه، وهذه قدرة لغوية بلغ فيها الهمذاني مبلغاً سامياً.

٥- كان لعناوين المقامات التي وضعها الهمذاني أثر فعّال في تحديد الدلالات المركزية للمقامة، كما أنَّ أثرها في بث إيحاءات دلالية مرتبطة بالمقامة نفسها كان واضحاً.

٦- كانت مقامات الهمذاني أرضاً خصبة للمفارقات من حيث أنَّها قصة، ومن حيث كونها مدونة سردية ذات أبعاد اجتماعية إنسانية بكل ما تحمله من تناقضات.

٧- جسدت المقامة عند الهمذاني موقف معاناة عنده حتى بدت مقاماته صدىً لما عاشه، ولما احتدم في صدره من مشاعر وعواطف وأفكار متصارعة متضاربة أساسها التناقض بين ما هو كائن معاش، وما يجب أن يكون، موجهاً بذلك الإدانة والرفض لكل ما هو سلبي مخطوء، آملاً إلى التغيير في واقعه.

الهوامش :

١- أمل حركة – دراسات في علم اجتماع الأدب ص١١.

٢- المرجع نفسه ص٢١.

٣- ينظر محمد علي البدوي – علم اجتماع الأدب(النظرية والمنهج والموضوع)ص٩٦-٩٧.

٤- ينظر عبد الملك مرتاض – القصة في الأدب العربي القديم ص٢٣١ وما بعدها.

*من هذه المقامات مقامات صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي ومقامات خالد بن صفوان بين يدي هشام بن عبد الملك.

٥- لقد أفاض كثير من الباحثين في مدلول المقامة لغة واصطلاحاً. ينظر الجواهري – الصحاح، ابن فارس – مقاييس اللغة، ابن منظور – لسان العرب مادة قوم، شوقي ضيف – المقامة–ص٧، عبد الرحمن ياغي – رأي في المقامات ص١٨-١٩، فكتور الكك – بديعات الزمان ص٤٣ وما بعدها، مصطفى الشكعة – بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقال الصحفية ص٢٠٣ وما بعدها، محمد رشدي حسن –أثر المقامة في نشأة القصة المصرية الحديثة ص٨٣ وما بعدها، يوسف نور عوض – فن المقامات بين المشرق والمغرب ص٩ وما بعدها، عبد الفتاح كيليطو – المقامات (السرد والأنساق الثقافية) ص٨٣، علي عبد المنعم عبد الحميد – النموذج الإنساني في أدب المقامة ص١٩-٢٧، هادي حسن حمودي – المقامات من ابن فارس إلى بديع الزمان الهمذاني ص٣١.

٦-يوسف نور عوض – فن المقامات بين المشرق والمغرب ص١٢.

٧-علي عبد الرؤوف – المقامات وباكورة قصص الشطار الاسبانية ص١٣، علي عبد المنعم – النموذج الإنساني في أدب المقامات ص٨١، عبد الرحمن ياغي – رأي في المقامات ص٤٩ وما بعدها.

٨- محمد غنيمي هلال – النقد الأدبي الحديث ص٥٤٩.

٩- زكي مبارك – النثر الفني في القرن الرابع الهجري ج ١ ص٢٤٩.

١٠- أثر المقامة في نشأة القصة المصرية الحديثة ص٢٥.

١١- إبراهيم السعافين – أصول المقامات – ص٢٢.

١٢- ج١ – ص٢٧٣.

١٣- مقامات الحريري – ض١١.

١٤- ج١٤ –ص١١٠.

١٥- عبد الله إبراهيم – السردية العربية ص١٨٣.

١٦- فدوى دوجلاس – بناء النص التراثي ص٩٥.

١٧- علي عبد المنعم –النموذج الإنساني في أدب المقامة ص٢٨.

١٨- مازن المبارك – مجتمع الهمذاني – ص٣٦.

١٩- يوسف نور عوض – فن المقامات بين المشرق والمغرب ص٣٧.

٢٠- مقامات بديع الزمان – المقامة الساسانية ص١٠٨.

٢١- المصدر نفسه – المقامة الساسانية ص١٠٨-١٠٩.

٢٢- المصدر نفسه – المقامة الساسانية ١٠٨- ١٠٩.

٢٣- المصدر نفسه – المقامة الإزاذية ص١٣.

٢٤- المصدر نفسه – المقامة الإزاذية ص١٣.

٢٥- المصدر نفسه – المقامة الأذربيجانية ص٥٣.

٢٦- المصدر نفسه – المقامة الأذربيجانية ص٥٤.

٢٧- المصدر نفسه – المقامة المكفوفية ص٩٣.

٢٨- المصدر نفسه – المقامة المكفوفية ص٩٤.

٢٩- المصدر نفسه – المقامة المكفوفية ص٩٥.

٣٠- المصدر نفسه – المقامة الجرجانية ص٦١.

٣١- المصدر نفسه – المقامة الكوفية ص٣١ -٣٢.

٣٢- المصدر نفسه – المقامة الكوفية ص٣٢.

٣٣- المصدر نفسه – المقامة المكفوفية ص٩٦.

٣٤- جميس مونرو – فن بديع الزمان الهمذاني – مجلة فصول – خريف ١٩٩٣م ص١٥٧.

٣٥- مقامات بديع الزمان – المقامة الوعظية ص١٥١-١٥٥.

٣٦- عبد الهادي عبد الله عطية – مقامات بديع الزمان ص٢١٠.

٣٧- مقامات بديع الزمان – المقامة الأهوازية ص٦٨.

*آثرت أن أضع هذا النوع من المقامات في إطار الوعظ لا الكدية لغرض التقسيم.

٣٨- مقامات بديع الزمان – المقامة القزوينية ص١٠٣-١٠٥.

٣٩- المصدر نفسه – المقامة المطلبية ص٢٧٧.

٤٠- المصدر نفسه – المقامة المطلبية ص٢٧٧.

٤١- المصدر نفسه – المقامة المطلبية ص٢٧٨.

٤٢- المصدر نفسه – المقامة الخمرية ص٢٧١.

٤٣- المصدر نفسه – المقامة الخمرية ص٢٧٤.

٤٤- المصدر نفسه – المقامة النيسابورية ص٢٢٧-٢٢٨.

*أشار المحقق في هذه المقامة أنَّه سيترك منها كلمات لهوانها على السمع وثقلها على الطبع ص٢٤٦.

٤٥- مقامات بديع الزمان – المقامة الدينارية ص٢٤٦-٢٥٢.

٤٦- المصدر – المقامة الدينارية ص٢٥١.

٤٧- المصدر نفسه – المقامة الأرمنية ص٢١٥.

٤٨- المصدر نفسه – المقامة الخمرية ص٢٧٣.

٤٩- المصدر نفسه – المقامة الرصافية ص١٨٢.

٥٠- المصدر نفسه – المقامة الرصافية ص١٨٢.

٥١- المصدر نفسه – المقامة الرصافية ص١٨٢.

٥٢- المصدر نفسه – المقامة الرصافية ص١٨٣.

٥٣- المصدر نفسه – المقامة الرصافية ص١٨٥.

٥٤- المصدر نفسه – المقامة الرصافية ص١٨٦.

٥٥- المصدر نفسه – المقامة الرصافية ص١٨٧-١٨٩.
٥٦- المصدر نفسه – المقامة الحرزية ص١٣٨.
٥٧- المصدر نفسه – المقامة الحرزية ص١٣٨.
٥٨- المصدر نفسه – المقامة الشعرية ص٢٥٢-٢٥٣.
٥٩- المصدر نفسه – المقامة العلمية ص٢٣٠.
٦٠- المصدر نفسه – المقامة المارستانية ص١٤٢-١٤٤.
٦١- المصدر نفسه – المقامة المضيرية ص١٢٤.
٦٢- المصدر نفسه – المقامة المجاعية ص١٤٧-١٤٩.
٦٣- المصدر نفسه – المقامة البغدادية ص٧٢-٧٣.
٦٤- المصدر نفسه – المقامة البغدادية ص٧٣.
٦٥- المصدر نفسه – المقامة الساسانية ص١٠٨-١٠٩.
٦٦- المصدر نفسه – المقامة الأرمنية ص٢١٤-٢١٦.

المصادر والمراجع:

١- إبراهيم السعافين – أصول المقامة – ط١ – بيروت ١٩٨٧م.

٢- أبراهيم عبد الله – السردية العربية – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ١٩٩٢م.

٣- أمل حركة – دراسات في علم اجتماع الأدب – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ١٩٩٣م.

٤- بديع الزمان الهمذاني – مقامات بديع الزمان الهمذني – تقديم محمد عبده – دار الكتب العلمية – ط١ – بيروت –٢٠٠٢م.

٥- الحريري – مقامات الحريري – دار صادر – بيروت ١٩٦٥.

٦- الحصري – زهر الآداب وثمر الألباب – تحقيق محمد أبو الفضل – مطبعة السعادة – القاهرة.

٧- زكي مبارك – النثر الفني في القرن الرابع الهجري.

٨- شوقي ضيف – الفن ومذاهبه – دار المعارف ط١ – القاهرة.

٩- شوقي ضيف – المقامة – دار المعارف – ط٢ – مصر ١٩٦٤.

١٠-عبد الرحمن ياغي – رأي في المقامات – ط١ – بيروت.

١١-عبد الرؤوف علي البمبي – المقامات وباكورة قصص الشطار الاسبانية – كتاب الرياض عدد ٤٨– ١٩٩٧م.

١٢-عبد الفتاح كيليطو– المقامات (السرد والأنساق الثقافية) – ترجمة عبد الكبير الشرقاوي–دار توبقال للنشر – الدار البيضاء ١٩٩٣م.

١٣-عبد الملك مرتاض – القصة في الأدب العربي القديم – دار مكتبة الشركة الجزائرية – ط١ – ١٩٦٨م.

١٤-عبد الهادي عبد الله عطية – مقامات بديع الزمان – تحليل ونقد – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ١٩٩٣م.

١٥- علي عبد المنعم عبد الحميد – النموذج الإنساني في آداب المقامة – ط١ – القاهرة ١٩٩٤م.
١٦- فدوى دوجلاس – بناء النص التراثي – دار الشؤون الثقافية – بغداد.
١٧- فكتور الكك – بديعات الزمان – ط٢- بيروت ١٩٧١م.
١٨- القلقشندي – صبح الأعشى في صناعة الانشا- المطبعة الأميرية.
١٩-مازن المبارك – مجتمع الهمذاني من خلال مقاماته – دار الفكر – ط٢- دمشق- ١٩٨١م.
٢٠-محمد رشدي حسن – أثر المقامة في نشأة القصة المصرية الحديثة – القاهرة – ١٩٧٤م.
٢١-محمد علي البدوي – علم اجتماع الأدب (النظرية والمنهج والموضوع)- دار المعرفة الجامعية السويس – ٢٠٠٤م.
٢٢- محمد غنيمي هلال – النقد الأدبي الحديث – بيروت.
٢٣- مصطفى الشكعة – بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية – دار الحمامي للطباعة – مكتبة القاهرة الحديثة الحديثة ١٩٥٩م.
٢٤- مونرو جميس – فن بديع الزمان الهمذاني – ترجمة أنيسة أبو النصر – مجلة فصول – خريف ١٩٩٣م.
٢٥- هادي حسن حمودي – المقامات من ابن فارس إلى بديع الزمان الهمذاني – دار الآفاق – ط١- بيروت ١٩٨٥م.
٢٦- يوسف نور عوض – فن المقامات بين المشرق والمغرب – مكتبة الطالب الجانعية – ط٢ – مكة المكرمة ١٩٨٦م.

Abstract

Denominators Hamadani "sociological study"

Researchers has concerned link between literature and society, as

critics see that literature is a social phenomenon cannot be understood away from its historical era, and cannot be isolated from political issues, economic, social prevailing during that period, although our understanding of the phenomenon of literary requires us to return it back to the social changes, cultural, and political that have occurred in society in a certain period, literature has been created by society, and must be employed to service it, whatever the type of the lireture and whenever its time and no matter how writer tried to express his pure experience, it reflects the human life and his era, a more or less by the society reflects the thought of the writer and experience the culture of his time, no matter how hard the writer tried to break away from reality and the values of his time must appear in his production literary insinuation about his environment because he can not break away from the society and his era, even if he wanted to be rebels the reality, the rebellion will reflect a conflict with the community and therefore it will offer something about the reality of society through this conflict. Hence, the "issue of the relationship between literature and society is not a modern issue, but" a relationship" Literature is not a unique phenomenon related to the writer or creator only, but a phenomenon related with it a number of external factors," but this literature production must be interpreted based on the interaction between literature and society, "and not seen as merely a reflection of social phenomena, but rather as a social institution which have its own dimensions, like other social institutions such as law, religion and political systems, and other" it is part of the reality of life found since

communities have been able to express themselves artistically through poetry, or prose, or singing, or dancing, or painting, or a music, it is really the actual behavior of individuals and communities, and the index of knowledge and cultural for them, this made the study of sociological literature to read insights of authors and writers related to the community, and connecting literature to build community through the sociology of knowledge is a goal. "Through literature we can learn and acquire some knowledge in society to take advantage of them in the analysis of literary discourse, as well as help us a lot in the study of communities that are difficult to study in a comprehensive manner, either to the lack of historical documents, or for political reasons, so the literature presents the nature of society, and perhaps the different of the literature of one age to another presented by the nature of community in cultural, political, and social development.
To confirm the relationship of literature to society the sociological study has came to describe the nature of society in the fourth century AH through shrines Hamadani which can we prepare and document important social value of art in our old literature "they are social stories" in which the writer addressed the nature of life in his time and he criticized it in sarcastic manner, and honesty until it became paint for literary, Hamadani became able to portray the social situation by precise description, which provides a clear picture of what the society was at that time, explaining accurate critique of the reality which he lived, and of some of the habits of the society in eloquent manner full of verbal workmanship by his hero abu Al fateh Aleskandrani who has lived in that time to convey to us a vivid picture for that period of time.